لبنان والوحدة

بقلم جوزيف مغيزل

من الطبيعي في مثل هذا اليوم الى جانب الفرح والابتهاج ان يتبادر الى الاذهان هذا السؤال الخطير : ترى ما هو موقف اللبنانيين بالضبط من قضية الوحدة وهل من المؤمل ان يشترك لبنان يوما مع باقي البلدان العربية في الوحدة ؟

ان لبنان سواء في اللغة او في الفكر القومي او في الاقتصاد او في التاريخ او في الحقل الدولي أو في التكوين الاهلي او في التفاعل الاجتماعي ذو وجود عربي مرتبط بباقي اجزاء الوجود العربي ارتباطا عضويا داخليا وليس ارتباطا عابرا خارجيا .

وقد اخذ هذا الترابط يزداد نموا ولحمة منذ بداية القرن العشرين وبوجه اخص منذ الاستقلال . فلبنان الذي يحيا ويعيش ، لبنان الذي يعمل ويتطور في كل مظاهر حياته ومعيشته وفي كل مراحل عمله وحركته ، لبنان الواقع والحياة ، هو بلد عربي . اما لبنان الذي ينكر عروبته فلا نعلم اين نجده لان ليس له نشاطات ومظاهر كافية خارجة عن العروبة ، هو لبنان يكاد يكون ، ذهنيا ، غير ملموس . ولكن ما دام الامر على هذه الدرجة من الحسية والوضوح فلماذا هذا الصراع الداخلي ، لماذا يستمر قسم من اللبنانيين في نفورهم الجافي من العروبة ، ومن القومية العربية والوحدة العربية ؟

ان اللبنانيين المحجمين يتنحون عن الحركة العربية لانهم يعتقدون ان العروبة تعني سيطرة اكثرية دينية على أقلية دينية، انها تمييز وامتياز بسبب الفارق الديني بين مواطن ومواطن، انها انغلاق على العالم المتقدم وانكفاء على الذات الشحيحة المفتقرة وتضحية بالمكتسبات الثقافية والروحية والاقتصادية.

هي اعتقادات راسخة في اذهان اللبنانيين ولدتها حقبات ماضية من الحكم العثماني والانتدابي بمشاركة المستغلين من الوطنيين ، وتوارثها الاحفاد من الاجداد والابناء من الآباء

اجل ان لبنان لا يزال يتطلع الى العروبة اليوم خلال رواسب الماضي وسلاسله وليس خلال بشائر الحاضر ونوافذ الغد وآماله ، وقد تحول ذلك الماضي الى عقدة نفسية فردية وجماهيرية من خلالها تطلق الاحكام ، وتتكون الاراء وترسم المخططات والسياسات ، فتكتسي صيغة ردة فعل عفوية شبه غريزية ضد كل ما هو عربي.

اما العروبيون في لبنان فقد قابلوا هذا الوضع ــ لسوء الحظ ــ بردة فعل معاكسة ، باجفال مشابه وجفاء مماثل وعقدة سوية ، فلم يكلفوا نفسهم عناء التحليل والتفهم لابل البسوا العروبة كل ما ليس هي ، بل كان يتنافى مع حقيقتها كالتعصب والانطواء ، كرفض الاتي من الحضارات الخارجية صالحا كان ام طالحا دون تمييز ، والتسليم بالواقع المبعد كانه منزل محتوم .

وهكذا انتصب الجدار الصفيق بين اللبنانيين وتعطل التعامل الصحيح بينهم تولدت مرحلة تاريخية ، جمدت خلالها الفوارق في المؤسسات وتحجرت النفوس والقلوب واغلق باب التخاطب الحر ونشأت تقاليد قتالة سامة قلبت المقاييس وهدمت القيم وافسدت المفاهيم واخضعت الحياة العامة لمعايير واسس وقواعد تخرج على كل اصالة وحقانية وتشل الرسالة التي ارادها لبنان لنفسه في الشرق وفي العالم .

وما هو اخطر من ذلك أنتقال سلبية الجهة العربية في لبنان الى الجوار بالعدوى فاصبح لبنان اللاعربي في نظر الراي العام العربي الخارجي حجر عثرة ومجلبة هموم ومتاعب مما زاد في شقة البعاد بين لبنان والحركة العربية جمعاء ، وكما تعطل التخاطب بين شطري لبنان الداخلي تعطل ايضا التخاطب بين لبنان والبلدان العربية الاخرى .

وكانت النتيجة ان تخلى لبنان عن دوره في المجتمع العربي وتخلى العرب عن معركتهم في لبنان . لقد تخلى لبنان عن رسالته لانه في موقفه المحجم لم يعد بوسعه ان ينقل شيئا الى العرب لان الرسالة اية رسالة لا يمكن ان تتم الا بالمحبة والتغلغل والانفتاح على الغير . والاشعاع الحضاري لا يمكن ان يحمل لواءه لبنان منكفىء ، منعزل ، بل لبنان منطلق معطاء متفهم متفاعل .

وحقل الرسالة اللبنانية في ما تتضمنه من حرية وحضارة او انفتاح على العالم من ثقافة وعلمانية وروحية ، ان حقل هذه الرسالة ليس اوروبا واسيا القصوى وافريقيا بل الدنيا العربية ، بل ابناء لغتنا وتراثنا الفكري وابناء ارضنا. ونداؤنا بلزوم هدم ما يبعدنا عن العرب من فروقات في مستوى الحياة لا يتم بابتعادنا عنهم بل بانطوائنا في نضالهم فلبنان لايسعه ان يكون ما يطمح اليه بدون العروبة وتخليه عن العروبة تخل عن ذاته لان المدى اللبناني الافضل هو المدى العربي الاكمل .

ومن جهة اخرى لقد قابل التخلي اللبناني تخل عربي عن معركة لبنان في داخله وفي خارجه . اجل لقد وقف العرب دون المصاعب التي واجهتهم في لبنان وأعرضوا عن معالجة الوضع بتعقداته معالجة واثقة صابرة محبة .

وكاد يخفي هذا الموقف حقيقة كبرى وهي ان لبنان جزء هام من المجتمع العربي المتحرك لالعدد بنيه بل لنوعيته . فالعرب بحاجة الى لبنان الذي يبعد عنهم خطر الاستسلام الى الذات السهلة والذي يقيهم التباس المفاهيم كالتباس التبعية القومية بالتبعية الدينية أو الولاء للوطن بالولاء للطائفة

فلبنان هو درب العلمانية العربية وامتحان الامكانيات العربية في التغلب على معضلاتها الداخلية وحقل اختبار الذات العربية الانسانية .

فالعرب لا يسعهم ان يكونوا ما يطمحون اليه بدون لبنان. وكما ان تخلي لبنان عن العروبة فقدان للبنان وخسارة ، كذلك فان تخلي العرب عن لبنان فقدان للعروبة وخسارة .

ومن الناحية العلمية يقتضي نضالنا الايجابي في لبنان ما يلي :

(١) تحقيق الوحدة الداخلية لان طريق لبنان للوحدة العربية هي وحدته الداخلية

(٢) الايمان بوحدة اللبنانيين العضوية المتكاملة والقضاء على اسباب التصدع والتفرقة ومن ثم وجوب انتزاع محبة اللبنانيين جميعا لدعوتنا

(٣) محاربة النزعة القائلة بالتخلي عن الفئات والاجزاء التي لا تندفع عفويا نحو العروبة ومحاربة النزعة الدائبة على كيل التهم والتعيير دون تمييز ولا تفريق لكل من لا يماشي التيار العربي تماما كما ننكر على اولئك الذين يدعون احتكار لبنان والتكلم باسمه باخلاص واصالة وحدهم ادعاءهم المخطىء لاننا نعترف بحق كل مواطن وحريته في ان يعالج مصير أمته وقومه معالجة قصية كلية عندما يملي عليه ذلك اخلاصه واقتناعه ووعيه .

(٤) تسلم المبادرة في كسب سائر اللبنانيين الى الحركة العربية التقدمية وبالتالي وكالة القيادة الى الطليعة المتحررة الفاهمة القادرة .

(٥) توضيح الحركة العربية توضيحا تاما وفقا لاسسها ومعطياتها الصحيحة عنيت كونها :

عنيت بكونها :

ـ علمانية آخذة بالقيم الروحية والخلقية

ـ علمية ساعية نحو المساهمة في التحقيقات العلمية الكبرى والافادة من انتصاراتها

ـ اشتراكية ناشطة صعداً نحو بناء مجتمع افضل

ـ منفتحة على العالم الحضاري متفاعلة معه اخذا وعطاء!

ـ سلمية محبة للمجتمع البشري متعاونة معه بكرامة واحترام .

ـ تقدمية متمسكة بالمقاييس والمفاهيم الانسانية الخيرة .

وقد يتصور البعض ان ما نطلبه هو من الخيال والتفاؤل الوهمي والحق ان ثقتنا بصحة دعوتنا وانطباقها على كل انحاء مجتمعنا العربي يجب ان تعني ان القومية العربية قادرة على تذليل صعوبة تعترضها في اي بلد عربي وقادرة على حل كل معضلة تقف بوجهها في اي بلد عربي .

لا بل اذهب ابعد من ذلك ، فالقومية العربية في مواجهتها المصاعب الداخلية ، ضمن اطارها انما تمتحن نفسها وتختبر طاقاتها على حل معضلاتها ، تختبر ميزاتها كقومية علمانية، تقدمية حرة انسانية ، فالقضية اللبنانية امتحان للعروبة ، امتحان للحركة العربية ، امتحان لقوميتنا العربية .

هلا نقدر ان نتغلب على احجام اللبنانيين واجفالهم ونتمكن من انتزاع ارادتهم ومحبتهم نحونا ، هل نستطيع اجتذاب قلوبهم وعقولهم الينا ؟

ان ثقتنا الوطيدة بحيوية القومية العربية ، بحقانية دعوتها وجذورية اصالتها ، تعني ثقتنا الوطيدة بطاقتها على النجاح في معركة لبنان .

عندئذ نعيد عيدنا الاكبر ونفرح ، ويفرح معنا ابناء الجمهورية العربية المتحدة (*) .

جوزيف مغيزل

(*) هذه الكلمة وكلمتا الدكتورين ادريس وصعب السابقتان القيت في مهرجان متخرجي المقاصد الاسلامية ببيروت يوم ٢٢ شباط الجاري

الغد الباسم

الى رائد امتي

*

غدا في غد سينبض قلب الحياة الصدي
بشعر ندي
غدا لن ترى الف طفل شريد
بكل صعيد
وأناتهم من بعيد
تذيب الجليد
والف مهاة تبيع صباها
لتحيا حيـــاة العبيـد

غدا لن يكون شعاع العيون
لليل السجون
ولن يحمل الشيخ عبء الحياة
وهم الرغيف
وينهار بيت الضعيف

غدا تبسم الجدة الناخره
بوجه الحفيد
غدا تزرع الشهب كل الدروب
وتشرق كل القلوب
بأمن رغيد

غدا لن تنـام الجيـاع لتحلـم بالدفء والعافيـه
ويسكـر فنّاننـا بدمعـته الغاليـة
ونرمـي بازهارهـا الـى الهاويـة

غدا لن تطول القصور بأنفاس عمالها
وتعثر ذات الجمال اليتيم باسمالها
فتخطر كل الهموم الكبار على بالها

غدا لن يعيش المريض بغير غذاء بغير دواء
غدا لن يبيع الفقير الدعاء الى الاغنياء
غدا باحتضار الشقـاء ـ تعيش السعاده
فقلبي عبادة
غدا يا غد نغرد او ننشد
ويبتسم بين شفاه الهوى
موعد

دمشق

عزيزة هارون